بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يكافىء نعمه ويرضيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة طيبة دائمة زاكية إلى يوم الدين.

وبعد، فإن طرفة بن العبد شاعر من فحول الشعراء الجاهليين، بلغ من شأو الشاعرية الرفيع في حداثة سنة وربيع حياته، ما لم يبلغه غيره من الشعراء في حياتهم الطويلة المديدة. ومن ثم كانت دراسته والتعرف على خصائصه ودقائق مواهبه مما تتوق إليه نفس الباحث المشتغل في الأدب وفنونه.

ولقد كنت أتطلّع إلى شاعر أدرسه بعد تجربتي السالفة في دراسة عدي بن زيد العبادي، التي سمعت من الثناء عليها ما شجعني على المضيّ في طريق الدراسة الأدبية لشعراء لم تسلط عليهم الأضواء بعد، أو لم يوفّوْا حقهم من الدراسة الجادة الوافية.

وآنس مني ذات يوم الأخ الكبير الفاضل الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين هذه الرغبة، فأشار عليّ مشكوراً بدراسة طرفة بن العبد؛ إذ لم يظفر هذا الشاعر الفحل بدراسة وافية مستأنية، تحيط بملابسات حياته، وتغوص إلى أعماق شخصيته الشاعرة، فترصد خصائصه الفنية، وتفرز القيم الأدبية التي قام عليها فنّه، وتجلّي العوامل التي أثّرت في شخصيته وشعره، ووجهت شاعريته ومواهبه.

لقد نُشِرت دراسات كثيرة عن طرفة بن العبد في كتب تاريخ الأدب، والموسوعات، وبعض الدراسات المسلسلة، كسلسلة الروائع (طرفةبن العبد) لأفرام فؤاد البستاني، وسلسلة أعلام الشعر الجاهلي (طرفة بن العبد) لمحمد عبد

المنعم خفاجي. ومن تلك الدراسات (معلّقات العرب) للدكتور بدوي طبانة، فقد تضمّن هذا الكتاب دراسة وافية لطرفة ومعلقته، و(شعراء النصرانية) للويس شيخو، و(طرفة بن العبد ـ دراسة وتحليل ـ) للدكتور علي الجندي، وغيرها.

بيد أن معظم هذه الدراسات، على وجاهتها وقيمتها العلمية الكبيرة، لم تتناول شخصية طرفة وشعره تناولاً شاملاً، ولم تفرده ببحث مستقل مستأن وافٍ.

ذلك أن بعضها ألـمّ بحياته، ولم يقف على شيء من شعره سوى المعلّقة، جرياً على منهجه المرسوم لبحثه، والذي لا يتعدى المعلّقات. وجرى بعضها على دراسة حياته وشعره كافة، إلا أنه لم يقف عند أغراضه كلها، يستنطقها الدلالات الأدبية، ويستقرئها خصائص الشاعر الفنية، ثم يصوغ الدراسة بأناة مدعومة بالشواهد الناطقة على صحة ما ذهب إليه، بل اكتفى بنتف من هنا وهناك، فجاءت الدراسة سريعة، والأحكام مبتسرة، والصورة عن الشاعر وفنه غائمة باهتة.

وقد يسّر الله لي أن أقوم بهذا العبء، فأقبلت على قراءة ديوان طرفة بيتاً بيتاً، مسجلاً كل بارقة تومض أمام ناظري عن شخصيته وفنه، مختلساً الدلالة النفسية والاجتماعية والأدبية من كل بيت أمرّ به. ثم اتجهت لقراءة ما كتب عن طرفة في كتب الأدب واللغة وكتب التراجم والطبقات والتاريخ، وكنت أجرد ما وقع لي من أخبار تتصل بحياة طرفة وفنّه من قريب أو بعيد.

حتى إذا استوت بين يديّ مادة البحث التاريخية والفنية، شرعت بالدراسة، وسرعان ما انتظمت لديّ معالمها في بابين: الأول بعنوان (طرفة الرجل)، وقد تناول بيئة الشاعر وحياته في فصلين، والثاني (طرفة الشاعر)، وقد تناول رواية شعره وتدوينه، وأغراضه الشعرية، وشاعريته وفنه، ومنزلته بين الشعراء في ثلاثة فصول.

وإني لآمل أن تكون هذه الدراسة قد استطاعت، بما اختطت من منهج، أن تجلّي شخصية طرفة وفنه تجلية بيّنة وافية، فإذا هو الشاعر المخترع الذي سبق إلى كثير من أبكار المعاني التي لم يفترعها قبله شاعر، وهو الشاعر الوصّاف المبدع في كل ما قاله من أغراض، وهو الهجّاء الساخر الأول في تاريخ الأدب العربي، وهو شاعر

القبيلة الأول في الجاهلية، وهو شاعر الحياة العربية الجاهلية بكل ما تذخر به من عادات وتقاليد وأخلاق في السلم والحرب، وما عرف فيها من صناعات وأدوات ومهارات.

وبعد، فإني لأرجو أن أكون قد قدمت في هذه الدراسة شيئاً نافعاً ممتعاً للقارئين، وأديّت بعض الواجب نحو تراثنا الأدبي ولغتنا الخالدة. وإنه ليسعدني أن أتلقى آراء الإخوة الزملاء وملاحظاتهم على ما سيقرؤ ون في هذه الصفحات، أكمل بها النقص، وأسدُّ الخلل، وأهتدي إلى الحق الذي أنشده في كل آن. والله أسأل السّداد في القول والعمل، والعصمة من زلّة القلم، وكبوة الفكر، ونبوّ الكلام.

الرياض في غرة ذي الحجة ١٣٩٨ هـ
١ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ م

الدكتور محمد علي الهاشمي